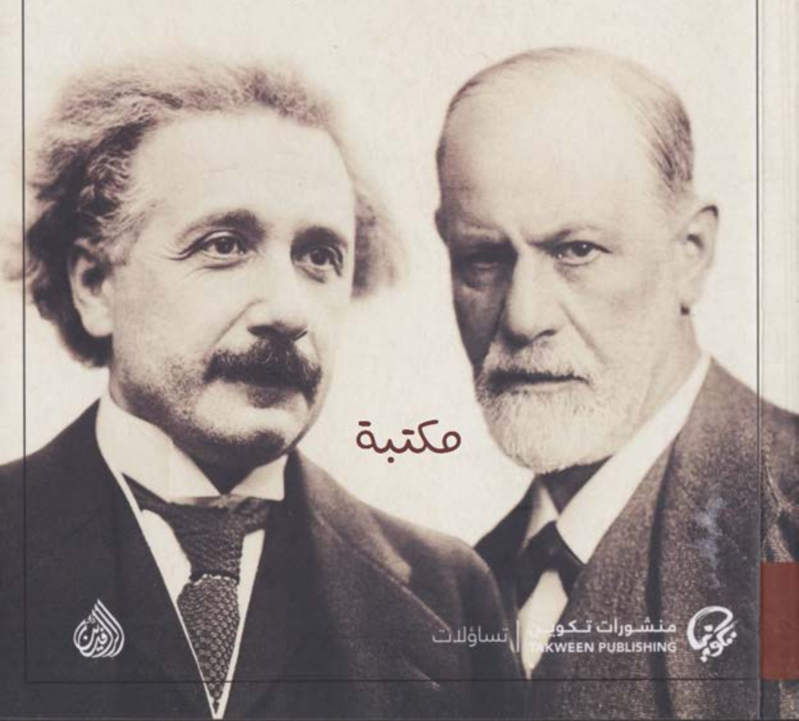
سيغموند فرويد - ألبرت أنشتاين

لماذا الحرب؟

تقديم وتحرير: د. نادر كاظم

ترجمة: جهاد الشبيني



لماذا الحرب؟

المناظرة بيـن فرويد وأنشـتاين

تحرير وتقديم

د. نادر كاظم

ترجمة

جهاد الشبيني

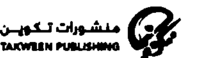




عنوان الكتاب: لماذا الحرب؟ المناظرة بين فرويد وأنشتاين
تحرير وتقديم: د. نادر كاظم
ترجمة: جهاد الشبيني

تصميم الغلاف: الشاعر محمد النبهان
تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 978-9921-723-05-2
الطبعة الأولى - سبتمبر / أيلول - 2018
2000 نسخة



الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة
تلفون: 40 04 81 98 965 +
بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي
تلفون: 60 58 00 11 78 964 +

publishing@takweenkw.com takweenkw
www.takweenkw.com @takweenKw



لبنان - بيروت / الحمرا
تلفون: 683 345 1 961+ / 980 541 1 961+
بغداد - العراق/ شارع المتنبي، عمارة الكاهجي
تلفون: 07810001005 / 07830070045

daralrafidain@yahoo.com Dar alrafidain
info@daralrafidain.com Dar.alrafidain
www.daralrafidain.com @Dar alrafidain

لماذا الحرب؟ ولماذا العدو؟

د. نادر كاظم

«إذا لم نقضِ على الحرب، فإن الحرب ستقضي علينا»

هربرت جورج ويلز (١٨٦٦-١٩٤٦)

١

كتب أحمد بن فارس (٣٢٩-٣٩٥هـ)، عالم اللغة المعروف وصاحب معجم «مقاييس اللغة»، ذات مرة، إلى بديع الزمان الهمذاني يشكو إليه فساد الزمان وتغيّر الإنسان، فردّ عليه بديع الزمان: «أتزعم أن الزمان فسد؟ أفلا تقول متى كان صالحاً؟ أفي الدولة العباسية، وقد رأينا آخرها وسمعنا أولها؟»، ثم راح هذا الأخير يعدد حوادث الفساد وسفك الدماء والحروب التي اتصلت حلقاتها منذ خلق الإنسان والملائكة تقول: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (البقرة: ٣٠)، حتى الدولة العباسية مروراً بالدولة الأموية وما قبلها. الأمر الذي يعني، من

وجهة نظر الهمذاني، «أن الزمان ما فسد، ولكن القياس قد اطردّ، ولا أظلمت الأيام، إنما امتدّ الظلام». بمعنى أن الزمان يفسد إذا كان صالحاً، لكنه لم يكن صالحاً قطّ، بل كان فاسداً منذ البداية، وما الفساد الذي يتجدد كل حين سوى استمرار للفساد الأول والقديم الذي اتصلت حلقاتها وتواصلت.

هل هذه نظرة تشاؤمية؟ أم هي وجهة نظر واقعية من تلك التي تتأسس على طبيعة الإنسان الشريرة والفاسدة والتي لا أمل في إصلاحها؟ لا يقدّم الهمذاني تفسيراً لهذا الفساد، كما أنه لا يوجه أصابع الاتهام إلى طبيعتنا البشرية، بل إن الذي يفهم من كلامه هو أن الفساد جزء أصيل من هذا العالم، وأن الشر نزعة متأصلة ولا يمكن استئصالها من الوجود البشري بدليل كل هذه الشواهد التاريخية التي يأتي على ذكرها. أما لماذا؟ فهو سؤال بقي معلّقاً وبلا جواب. ومهما يكن الأمر فإن ما انتهى إليه فكر الهمذاني حول فساد الزمان المطرد ليس بعيداً عما انتهت إليه واحدة من أعظم مناظرات النصف الأول من القرن العشرين، حيث كَلّفت عصبة الأمم والمعهد الدولي للتعاون الفكري في باريس، في العام ١٩٣٢، عالم الفيزياء المشهور ألبرت أنشتاين (١٨٧٩-١٩٥٥) بإدارة نقاش صريح حول أية مشكلة يختارها هو بنفسه. كان على أنشتاين أن يختار موضوع النقاش والشخص المناسب الذي سوف يتبادل معه وجهات النظر في هذه المناظرة. وقد اختار أنشتاين للنقاش مشكلة الحرب وأسبابها وكيفية

الخلاص من تهديدها. واختيار موضوع النقاش سيسهّل عملية اختيار الشخص المناسب كشريك لأنشتاين في هذه المناظرة الثنائية. وكان من المنتظر أن يكون هذا الشخص مفكراً سياسياً أو شخصية دولية أو مختصاً في شؤون الحروب أو العلاقات الدولية، إلا أن اختيار أنشتاين وقع على سيغموند فرويد (١٨٥٦ -١٩٣٩)، عالِم النفس المشهور والذي انتهى قبل سنوات قليلة من دعوة أنشتاين من تأليف كتابه «الحضارة وإحباطاتها» (تُرجم إلى العربية بعنوان «قلق في الحضارة»)، وهو الكتاب الذي شرح فيه نظريته حول التلازم بين الغريزتين الأساسيتين لدى الإنسان: الغريزة الجنسية، والغريزة العدوانية، غريزة البقاء، وغريزة الموت والتدمير.

لم يكن اختيار موضوع المناظرة عسيراً، فأنشتاين كان يرى أن الحروب هي المشكلة الخطيرة التي يتحتم على البشرية مواجهتها؛ وإلا فإنها يمكن أن تهدد وجودها في الصميم بحكم التقدم الكبير في الأسلحة المدمرة، وبتعبير هربرت جورج ويلز فـ«إذا لم نقضِ على الحرب، فإن الحرب ستقضي علينا». وعلى هذا فإن مستقبل البشرية يبقى مرهوناً بمدى نجاحها في وضع حدّ لهذه الحروب أو التقليل من مخاطرها على أقل تقدير. كل هذا كان مقنعاً، ولكن لماذا فرويد على وجه التحديد؟ لقد قرأ أنشتاين كتاب فرويد «الحضارة وإحباطاتها»؛ بدليل أنه يعبّر، في رسالته إلى فرويد، عن إعجابه بفكر فرويد وبالفكرة الأساسية

التي تمثل صلب الكتاب، وهي الكشف عن ذلك «التلازم بين غريزة العدوان والتدمير وغريزة الحب والرغبة في الحياة في النفس الإنسانية»، كما أنه يعبر إلى فرويد عن مدى شكره «على العديد من الساعات الممتعة التي أتيحت لي في قراءة أعمالكم. ومن دواعي سروري دائمًا أن ألاحظ أنه حتى أولئك الذين لا يؤمنون بنظرياتك يجدون صعوبة كبيرة في مقاومة أفكارك، لأنهم يستخدمون مصطلحاتك في أفكارهم وخطبهم عندما يكونون غير حذرين». إلا أن أنشتاين يبدي، في البداية، وجهة نظر بعيدة عن نظريات فرويد، وهي أقرب ما تكون إلى مشروع عمانويل كانط عن «الحكومة العالمية». فقد كان أنشتاين يرى أن حل معضلة الحرب يكمن في «إنشاء هيئة قضائية وتشريعية لتسوية النزاعات الناشئة بين الدول، بموافقة دوليَّة، تلتزم كل الدول بالامتثال إلى الأوامر التي تصدرها وتلجأ إلى قراراتها في كل النزاعات». لكن المشكلة ليس في وجود مثل هذه الهيئة، بل في فرض الخضوع لها والامتثال لقراراتها وأحكامها، وهذا لن يكون إلا بتوافر قوة عالمية تفرض قرارات هذه الهيئة، وفي ظل غياب هذه القوة لا معنى لوجود تلك الهيئة القضائية العالمية. وفي النهاية، يذهب أنشتاين، تأثّراً بأفكار فرويد هذه المرة، إلى القول بأن الحروب ترتكز على رغبة غريزية قوية ومتجذرة في نفوس البشر، تلك هي غريزة الكراهية والتدمير والعدوانية. وهذه غريزة كامنة ويمكن استثارتها بقوة في أية لحظة وبخاصة في أوقات الاضطرابات والتجييش الجماعيين. ويبدو أن هذه

القناعة تحديداً هي التي حملت أنشتاين على اختيار فرويد كشريك له في هذه المناظرة الفريدة، والتي بقيت مهملة وغير معروفة عربياً وعالمياً. فقد نشرت بالألمانية أولاً في كتيب وزعت منه ٢٠٠٠ نسخة فقط، ولم يكن الحال أفضل مع الطبعة الإنجليزية الأصلية.

ابتدأ فرويد، تماماً كما فعل أنشتاين، بالبحث عن تفسير عملي للحروب ونزعات التدمير في تاريخ البشر. وشرع يطرح نظريته الأولية عن أصل الدولة كما سنناقشها بعد قليل. في البدء كان العنف، عنف القوي المنتصر، ثم حصل أن اتحد الضعفاء لوضع حدّ لعنف هذا الأخير. إلا أن دورة العنف لا تتوقف عند اتحاد الضعفاء، لأن المجتمع أكثر تعقيداً مما نظن، فهو يتألف من مصالح وعناصر قوى غير متكافئة، الأمر الذي يعني تجدد العنف، وذلك عندما يعمد اتحاد الضعفاء إلى توظيف القوة/ القانون لصالحهم. الأمر الذي يطرح السؤال مجدداً: من أين تستمد دورة العنف المتجدد مصدرها الأصلي؟ بالنسبة إلى فرويد فإن العدوانية هي هذا المصدر الذي نبحث عنه، وهي غريزة ترتكز على ميول ونوازع متجذرة في الإنسان، ولا يمكن اقتلاعها من جذورها، ولا يمكن قمعها بصورة كاملة. ولهذا فلا جدوى من محاولة التخلص منها؛ لأنها ترتكز على «استعداد غريزي بدائي مستقل بذاته». وكل ما يستطيع البشر عمله تجاه هذه الميول والنوازع الغريزية هو محاولة تصريفها في قنوات

أخرى غير قنوات الحروب والصراعات المدمرة، ويكفي، بتعبير فرويد، «أن تحاول الإبقاء عليها في المستوى الذي لا يحتاجون فيه إلى ترجمتها إلى حرب»؛ من حيث أن الحرب لم تكن سوى ضرب من ضروب التصريف العنيف للنوازع العدوانية القاتلة عند البشر. ومن هنا، كانت العدوانية أعظم عقبة وأخطر عائق يقف ضد تقدم البشرية التي يتقرر مصيرها بمدى قدرتها على التغلب على هذه الغريزة، وبمدى قدرتها على «تذليل كبرى العقبات التي تصطدم بها الحضارة». إلا أن فرويد اكتشف أيضاً أن للعدوانية وظيفة من نوع آخر، فهي وسيلة لتعزيز التلاحم داخل الجماعة أو الأمة. لا يمكن تصور أمة تكون حدودها هي كامل حدود الإنسانية جمعاء، لأن العدوانية ستكون، عندئذٍ، مكفوفة وبلا موضوع تستهدفه، مما يعني أنها سترتدّ على الذات لتصبح هي هدف العدوان والتدمير. افترض فرويد أن للعدوانية طاقة في نفوسنا تماماً كما افترض أن الليبيدو هو الطاقة التي تمدّ غريزتنا الجنسية بالحيوية، وأن هذه الطاقة لا بد من تفريغها خارج الذات، خارج الجماعة من أجل حفظ الذات وحفظ الجماعة. فالحب والتوادّ والتراحم الذي يؤسس أواصر الروابط بين جماعة ما لا يمكن ضمان استمراره إلا باختراع آخرين تكون وظيفتهم تلقي الضربات، ضربات العدوانية، وإلا ارتدّت الضربات إلى داخل الجماعة مهددة بانقسامها وتفتّتها.

هذه هي الخلاصة التي يمكن الخروج بها من هذه المناظرة

التي نُشرت في العام ١٩٣٣ بعنوان «لماذا الحرب؟». وتعد هذه المناظرة التي لم يكتب لها الذيوع والانتشار على نطاق واسع، واحدةً من أهم المناظرات التي عرفها النصف الأول من القرن العشرين؛ لأنها جمعت بين اثنين من أعظم علماء القرن العشرين في العلوم الطبيعية (ألبرت أنشتاين)، والعلوم الإنسانية (سيغموند فرويد). واللافت حقاً أنه لو عاد هذان العالمان إلى الحياة اليوم لما تغيّرت خلاصتهما، ولما اختارا، أساساً، موضوعاً للنقاش غير الحروب والميول والنوازع العدوانية لدى البشر. الأمر الذي يعني أن المعضلات الكبرى التي واجهت البشرية في النصف الأول من القرن العشرين، هي ذاتها التي مازالت تواجهنا في النصف الأول من القرن الواحد والعشرين. وإذا كانت مشكلة الحروب العالمية الكبرى قد أطّرت مناظرة أنشتاين/ فرويد في العام ١٩٣٢، فإن النقاش الراهن تؤطره حروب وصراعات كبرى وصغرى بين الحضارات وداخل كل حضارة. أما على المستوى الدولي فإن خطر اندلاع الحروب يبقى قائماً في ظل هشاشة الترتيبات الأممية القائمة لكبح جماح الدول الكبرى. وتشاء الأقدار أن تكون منطقتنا، في آسيا وأفريقيا، الساحة المفتوحة أمام هذه الدول/ الأفيال الضخمة المتصارعة لتسوية خلافاتها وتصريف صراعاتها والحروب بالوكالة القائمة فيما بينها.

غير أن السؤال الأهم هو: لماذا الحرب أصلاً؟ وما الأسباب الحقيقية والغايات المرجوّة التي تقف وراء الحروب؟

ويمكن القول، مع مايكل هاورد، بأن «أسباب الحرب لم تتغيّر جوهرياً على مرّ القرون؛ فما اعتبره ثوسيديدس سبباً للحرب البيلوبونيزية، وهو تنامي القوة الأثينية والخوف الذي سببه ذلك لدى إسبرطة، هو نفسه ما يمكن اعتباره سبباً في اندلاع الحرب العالمية الأولى، وهو تنامي القوة الألمانية والخوف الذي سببه ذلك لدى بريطانيا». الأمر الذي يعني أن الحروب هي دوماً نتيجة حتمية لذلك النوع من التنافس على القوة، وعلى منع التهديد المحتمل من قبل قوة أخرى. وما دام هذا التنافس قائماً، ومادامت هذه التهديدات موجودة، فإن سباق التسلح يكون هو النتيجة، ويبقى خطر الحرب المحتملة مخيّماً على البلاد والعباد.

والإشارة إلى ثوسيديدس في القرن الخامس قبل الميلاد مهمة؛ لأن الكثيرين يعتبرونه أقدم مؤرخ حروب واقعي سياسي، لكونه تنبه، في وقت مبكر وهو يؤرخ للحرب البيلوبونيزية (٤٣١ ق.م – ٤٠٣ ق. م) إلى دور القوة (أو شهوة القوة كما يسميها) والخوف من تنامي قوة الخصم في اندلاع الحروب التي تحتكم إلى منطق القوة الذي يجعل «القوي يفعل ما يشاء، والضعيف يقاسي بقدر ما يفرض عليه من معاناة». وهي عبارة ظلّ صداها يتردد مع أكبر خبير عسكري ألماني في القرن التاسع عشر، أي كارل فون كلاوزفيتز (١٧٨٠ – ١٨٣١) عندما عرّف الحرب بأنها «عمل من أعمال القوة لإجبار العدو على تنفيذ مشيئتنا»،

بمعنى أن فرض قوتنا على العدو بعد طرحه أرضاً، وتجريده من سلاحه ومن كل وسائل مقاومته، هي الغرض الجوهري من وراء الحرب. ولا يبدو أن كلاوزفيتز يختلف عن فرويد عندما كتب أن الدوافع التي تدفع الناس للحرب تكمن في «المشاعر العدائية والنوايا العدوانية». وعلى الرغم من قناعة كلاوزفيتز بأن الحرب تختلف بين الشعوب المتحضرة عن تلك التي تندلع بين الشعوب «الهمجية»، إلا أنه يقرّ بأن هذه المشاعر والنوايا العدوانية ثابتة بين الجميع، فـ«حتى أكثر الشعوب تمدّناً يمكن أن تهيج بفعل حقد بعضها على بعض». وقبل كلاوزفيتز كتب نيقولا ميكافيللي (١٤٦٩ - ١٥٢٧) كتابه «فن الحرب» الذي قال عنه فولتير أن «ميكافيللي علّم أوروبا فن الحرب الذي نمارسه منذ زمن طويل من دون أن نعرفه». وميكافيللي يؤسس توجهه، في كتاب «الأمير»، على أمرين جوهريين: فساد الطبيعة البشرية، ومتطلبات السلطة والحفاظ على الملك. فإذا كانت الغاية الأساسية هي الوصول إلى السلطة والاحتفاظ بالملك، فإن على «الأمير» أن يعلم أنه يحكم بشراً لا ملائكة، وأن هؤلاء البشر أشرار بطبيعتهم، وهم يتصفون، بشكل عام، بنكران الجميل، والتقلب وسرعة التحول، وحب الكسب، والميل لاتقاء الأخطار. والحاصل أن أناساً بهذه الطباع يمكن أن يحكموا باستغلال ذكي لهذه الطباع، أي بالخوف والرهبة. وإذا كان «الأمير» مخيراً بين حب الناس أو خوفهم، فإن عليه أن يعوّل على خوفهم إذا أراد الاحتفاظ بملكه. وإذا كان الناس أشراراً

بطبعهم فإن الاحتفاظ بالوعود وعدم نكثها قد يجلب الخراب للملك. ويميز ميكافيللي بين الجمهوريات والإمارات المثالية من النمط الأسمى، والجمهوريات الواقعية في حياتنا العادية. بل إن من يهمل «ما هو كائن لأجل ما ينبغي أن يكون يجلب على نفسه الخراب العاجل»؛ والسبب أن عالم الحكم ليس هو عالم الحياة الاجتماعية أو الدينية أو الأسرية، حيث قد تنقلب، في عالم الحكم، الرذائل إلى فضائل، والعكس بالعكس. وميكافيللي ينصح «الأمير» بأن «لا يخشى عار المعايب التي يصعب عليه بدونها الاحتفاظ بالملك».

ولربما مثّل توماس هوبز ذروة هذا النوع من التفكير الواقعي السياسي. فبالنسبة إلى هوبز فإن الإنسان، في حالته الطبيعية، شرير بطبعه، وأن هذه «الطبيعة الشريرة» تكشف عن نفسها، في ظل ندرة الموارد، في حالة دائمة من التنافس والصراع والفوضى وحرب الجميع ضد الجميع، ولا خلاص من هذه الدوّامة سوى بالدولة التي تمثل، من وجهة نظر هوبز، «الإنسان الاصطناعي» الذي اجتمعت فيه وتركّزت (تمركزت) بداخله خلاصة قوة الأفراد وإرادتهم؛ الأمر الذي جعل من الدولة قوة كبرى، وإرادة لا تضاهى قياساً بقوة الأفراد المتفرقين، وإراداتهم المبعثرة. تمثل الدولة، على هذا، نوعاً من «وحدة الجميع الفعلية في شخص واحد». وهو ما جعل هذا «الشخص الاصطناعي الواحد» بمثابة «اللفياثان الكبير» أو «الإله الفاني» الذي يثير الرعب في

نفوس الأفراد، الأمر الذي يردعهم ويجعل إرادتهم تتأقلم شيئاً فشيئاً من أجل تحقيق السلم الأهلي. إلا أن هذه السلطة المطلقة التي يكتسبها هذا اللفياثان الضخم إنما هي نوع من التفويض من قبل الأفراد، وهي مقيدة بغاية أساسية هي حماية «الإنسان الطبيعي» ووضع حدّ لحرب الجميع ضد الجميع وما تسببه من فوضى شاملة يتعذر معها العيش بسلام؛ فمن أجل هذه الغاية، كما يكتب هوبز، «صنع البشر رجلاً اصطناعياً، وهو ما نسميه بالدولة». لكن المفارقة، في تاريخ البشر، أن الوسيلة التي اخترعها البشر لوضع حدّ لدورة الحرب الشاملة وحرب الجميع ضد الجميع، أي الدولة، أصبحت هي أهم أسباب الحروب. فالحروب الأهلية تندلع على الدولة، كما أن الحروب الإقليمية والعالمية تندلع بين الدول التي تحول البشر من أناس عاديين إلى أعداء يقتل بعضهم بعضاً من أجل هذه الدولة أو تلك.

وإذا كانت أوروبا تمارس الحرب منذ زمن طويل دون أن تعرفه حتى كتب ميكافيللي «فن الحرب»، فإن الشرق كان يمارس هذا الفن ويعرفه منذ القرن السادس قبل الميلاد على أقل تقدير، وذلك عندما انتهى الجنرال الصيني صن تسو، في القرن السادس قبل الميلاد، من وضع خلاصة خبرته العسكرية في الحروب واستراتيجياتها وتكتيكاتها في كتابه المعروف «فن الحرب»، والذي كان بمثابة دليل عملي لشن الحروب التي لا تستغني عنها أية دولة؛ فالحرب فن بالغ الأهمية للدولة كما

يقول، بل «إنها قضيّة حياة أو موت، وهي طريقٌ إمّا للبقاء أو للاندثار».

ولم يكن الشرق العربي بمنأى عن هذا النوع من التنظيرات. وعلى الرغم من تحذير شاعرهم القديم (زهير بن أبي سلمى) من ضراوة الحرب وعواقبها المدمّرة التي هم أدرى بها:

وَما الحَربُ إِلّا ما عَلِمتُم وَذُقتُمُ
وَما هُوَ عَنها بِالحَديثِ المُرَجَّمِ
مَتى تَبعَثوها تَبعَثوها ذَميمَةً
وَتَضرَ إِذا ضَرَّيتُموها فَتَضرَمِ
فَتَعرُكُّمُ عَركَ الرَحى بِثِفالِها
وَتَلقَح كِشافاً ثُمَّ تَحمِل فَتُتئِمِ

إلا أن حروب العرب لم تنقطع طوال تاريخهم، واستمرت وكأنها ظلهم الثقيل الذي لم يكن يفارقهم. وبالنسبة لابن خلدون فإن الحرب، كما العدوان والظلم، مسألة طبيعية؛ لأن الله «ركّب في طبائع البشر الخير والشر»، إلا أن «الشر أقرب الخلال إليه»؛ ولهذا فإن «الظلم والعدوان» من أخلاق البشر وطبائعهم المركبة فيهم طبيعياً، فـ«الظلم من شيم النفوس» كما قال المتنبي. وهنا لا يختلف ابن خلدون عن توماس هوبز في تفسيره لأصل الحاجة إلى الدولة والملك. فالبشر أقرب إلى الشر والظلم وعدوان بعضهم على بعض، ومن هنا جاءت الحاجة إلى الدولة لكبح هذا العدوان بالقهر والسلطان. كما أن إقامة الملك والسلطان لا تتم إلا بالقتال

«لما في طبائع البشر من الاستعصاء». وينسحب هذا التفسير على تأصيل الحرب؛ لأن الحرب ملازمة للبشر كما لو كانت طبعاً مركباً فيهم، وأنها «لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله»، وعلى هذا فإن الحرب «أمر طبيعي في البشر لم تخلو منه أمة ولا جيل». أما عن أسباب هذه النزعة المتأصلة في الحروب وأصل انتقام بعض البشر من بعضٍ، فإن ابن خلدون يرجعها لأربعة أسباب، فهي «إما غيرة ومنافسة، وإما عدوان، وإما غضب لله ولدينه، وإما غضب للمُلك وسعي لتمهيده». ويخلص ابن خلدون إلى تصنيف الحروب إلى صنفين بناء على دوافعها وغاياتها: حروب بغي وفتنه وهي الناتجة عن الغيرة والمنافسة والعدوان، وحروب جهاد وعدل وهي الناتجة عن الجهاد في سبيل الله أو حروب الدول ضد الخارجين والمتمردين عليها.

تندرج كل هذه الأسماء وتنظيراتها فيما يسمى، اليوم، بالواقعية السياسية الكلاسيكية. وهي، في الحقيقة، تعزو فساد السلوك الإنساني إلى عاملين أساسيين: الأول هو طبيعتنا البشرية الشريرة، حيث يتم، هنا، التأكيد على أن الأسباب العميقة للحروب، ولمختلف السلوكيات البشرية العدوانية، إنما تكمن في الطبيعة البشرية المحكومة بغريزة الظلم والعدوان، وأن هذه الغريزة يتعذر استئصالها واقتلاعها من جذورها. والثاني هو طبيعة المواقف والظروف المحيطة بالأفراد والجماعات، والتي يكون لها الدور الأكبر في تكوين السلوك البشري ونزعات

العدوان، فظروف الحكم وإقامة الدولة واستقرارها موقف لا يستقيم، في نظرهم، إلا بالقوة والعنف أو التهديد بهما على الأقل. وجرى العرف، في علم النفس السياسي والاجتماعي، على تسمية المقاربة الأولى باسم المقاربة النزوعية dispositionism، والثانية باسم المقاربة الموقفية situationism.

أما بالنسبة إلى أرسطو، في القرن الرابع قبل الميلاد، فإن الحرب قد تكون «وسيلة طبيعية للكسب»، فمثلها مثل صيد الحيوانات، فكما أن الحيوانات خلقت للإنسان، فكذلك خلقت الطبيعة لهذا الإنسان المتفرد «بشراً ليطيعوه»، فإذا عصوا ولم يطيعوا، أي خالفوا طبيعتهم، فإن الحرب تكون وسيلة طبيعية لإعادة الأوضاع إلى طبيعتها الأولى! وعلى الرغم من المضمون العنصري الذي يتحكم في تفكير أرسطو هنا، إلا أن أرسطو على قناعة بأن الحرب لا يمكن أن تكون غاية بذاتها، بل السلام هو غاية الحرب، فكما أن «الراحة هي غاية العمل»، فكذلك يكون «السلام هو الغاية من الحرب». وربما كان أرسطو لا يختلف مع الآخرين في تفسير سبب الحرب وإرجاعها إلى الغريزة الشريرة وشهوة الإنسان الخبيثة، إلا أنه يختلف عنهم في تعويله الكبير على الفضائل ودورها في القضاء على فساد الإنسان، فالإنسان بلا فضائل إنسان فاسد وشرير وخبيث، إلا أن الفضائل كفيلة بإنقاذ الإنسان من هذا المصير. الأمر الذي يعني أنه مآل غير حتمي ولا نهائي، وأن هناك أمل في الخلاص.

«سنقدّم لكم أسوأ خدمة، سنحرمكم من العدو!»

ألكسندر أرباتوف، المستشار الدبلوماسي لميخائيل غورباتشوف

٢

الأعداء، في حياتنا، مثل المرض، جزء من حياتنا، وشرّ نصطدم به بالرغم من أننا نحرص على تجنبه والهروب منه. ومع هذا، فإن الحروب هي أفضل بيئة لصنع العدو، وهي التربة الخصبة لتحويل البشر العاديين والأسوياء إلى أعداء ألداء وأشرار أوغاد، وعلى نحو يكون من الصعب جداً تجنبه والفرار منه. وبحسب تعبير عمانويل كانط فإن «الحرب سيئة لأنها تخلق من الأشرار أكثر مما تزيل». نعم، قد يوجد عدو من دون حرب، إلا أنه لا وجود لحرب من دون عدو، فالحرب تندلع بين أعداء أو هي من تتولى مسؤولية تحويلهم إلى أعداء كتكتيك لإثارة الحماسة القتالية.

ولكن لماذا العدو أصلاً في الحرب أو من دونها؟ بعد سقوط جدار برلين وانتهاء الحرب الباردة خرج ألكسندر أرباتوف، المستشار الدبلوماسي لميخائيل غورباتشوف، ليخاطب الغرب (الأمريكيين والأوروبيين) بهذا القول: «سنقدّم لكم أسوأ خدمة، سنحرمكم من العدو!». فما الذي يحصل لدولة كبرى وتفيض بتسليحها عندما يختفي عدوها الحقيقي والكبير؟ إنها إما أن تكون مهددة بالتفكك وارتخاء تماسكها الصلب، وانطفاء تحفزها النشط، وإما أن تبحث لها عن عدو آخر، حتى لو كان عدواً وهمياً ومتخيّلاً. ليكن هذا العدو هو «الإرهاب الدولي» أو «الإرهاب الإسلامي» أو «محور الشر» أو أي شيطان رجيم على وجه الأرض، المهم أن يكون ضخماً ومرعباً ليستحق أن يكون في هذه المكانة: عدو القوة الكبرى. أما حقيقة ما تفعله هذه القوة الكبرى فهو أنها تصنع عدوها صنعاً، وتختلقه اختلاقاً. فالعدو، في مثل هذه الحالات، يكون حاجة ضرورية ولا غنى عنه؛ لأنه يقدم لنا خدمات مهمة اجتماعياً وسياسياً وحتى نفسياً. ولكن لماذا العدو؟ يقدّم لنا إمبرتو إيكو مثالاً كاشفاً لهذه الحالة، وهي حالة الدولة الروسية القيصرية أواخر القرن التاسع عشر، حيث يلتقي سيمون سيمونيني، بطل رواية «مقبرة براغ»، براشكوفسكي، رجل المخابرات الروسية القيصرية، بغرض الاتفاق على كتابة وثيقة مختلقة عن اجتماع متخيل عُقد في مقبرة براغ، وضمّ حاخامات يهود كبار اجتمعوا ليخططوا سراً لمؤامرة يهودية جهنمية من أجل الهيمنة على العالم، ونشر الأوبئة في أرجائه، والسيطرة على ذهبه واقتصاده وإعلامه.

وبالفعل تمت كتابة هذه الوثيقة المزوّرة «بروتوكولات حكماء صهيون» بغرض شيطنة اليهود. ولكن لماذا يتعمد الدولة الروسية إلى صنع عدو مصطنع مثل اليهود؟ يجيب راشكوفسكي: «يجب أن يكون هناك عدو لنعطي إلى الشعب أملاً»، ونحوّل غضبه كيلا يتوجّه نحو قيصر روسيا، كما أن «معنى الهوية يقوم على الكره، كره من هو غير مماثل. ينبغي تنمية الكره كعاطفة مدنية (...) يجب أن يوجد دائماً هناك أحد نكرهه لكي نجد لأنفسنا ما نبرّر به بؤسنا الخاص!».

هل تكمن المشكلة في العدو؟ أم في مكان آخر؟ في الهوية مثلاً بحكم أن العدو حاجة ضرورية للهوية؛ لأنه من الصعب أن تستقيم الهوية من دون وجود الآخر/ العدو. قد يرفض معظمنا، لأول وهلةٍ، مثل هذا الربط بين العدو والهوية، بل إن فرويد، في هذه المناظرة، يطرح الهوية كإحدى تجليات الغريزة الجنسية (غريزة البقاء) التي يمكن تنشيطها لتعمل ضد غريزة التدمير. كان فرويد يتناول الهوية كتعبير عن «الروابط العاطفية» و«الاهتمامات المشتركة» بين الناس، إلا أنه لم يغفل عن هذه الحقيقة: إن هذه الروابط العاطفية بين جماعة من الناس لا تتم إلا على حساب الآخرين (الأغيار) ممن هم خارج الجماعة. لا يصل فرويد إلى حدّ التعبير الذي يقول بأن في الهوية، كل هوية، نزعة عدوانية وقتالية كامنة، إلا أنه لم يكن بعيداً عن هذه الحقيقة. وهو موضوع اهتممت به في كتابيّ «خارج الجماعة» و«لماذا نكره؟»،

ولكني هنا سأعمد إلى تذكيركم بكتاب أمين معلوف عن «الهويات القاتلة»، وبكتاب أمارتيا صن عن «الهوية والعنف». الهوية تقتل، وتقتل بلا رحمة وبدم بارد وبضمير مرتاح. هذا ما يقوله أمين معلوف وأمارتيا صن وآخرين، بمعنى أن للهوية قدرة -إذا ما توافرت لها الشروط اللازمة- على تحويل البشر من أناس عاديين وأسوياء إلى قتلة أو «أنصاف قتلة». وقد تصور أمين معلوف وأمارتيا صن أن الحل يكمن في تخليص الهوية من نزعتها القتالية والعدوانية. ويتأتّى ذلك بتحريك الانتماءات المتنوعة أو الهويات المتعددة الكامنة داخل كل هوية، وبتجاوز المقاربة الانعزالية والحتمية التي تختزل التنوع في انتماء مفرد وحتمي. إلا أني أتصور أن المشكلة تكمن في الهوية بحد ذاتها من حيث إنها تقوم أساساً على اختزال الفرد -وهو الكيان البشري الحقيقي من لحم ودم- في كيانات جماعية أكبر من الفرد قائمة على الدين والقومية والوطن والطائفة والأيديولوجيا وغيرها. وهي كيانات مجردة، إلا أنها تتطلب الكثير من الأفراد، وتوضع دائماً في مكانة أسمى من الفرد، بل هي تتعامل مع الفرد على أنه رقم من الأرقام أو ترس في ماكينتها الضخمة. تتبدى هذه الكيانات الجماعية أمام أفرادها وكأنها هي ولية النعمة؛ ولهذا ينبغي تقديم قرابين الطاعة والخضوع والولاء لها باستمرار.

قلت، قبل قليل، بأن الهوية تقوم، في جوهرها، على نزعة قتالية متجذرة، وعليّ الآن أن أقدّم تفسيراً مقنعاً لذلك. إلا

أن علينا أن نتفق أولاً على هذه المقولات الأولية: الهوية مسألة تصنيف بيننا وبين الآخرين، وأن الهوية، كمقولة تصنيفية، تتأسس على تلك المسافة الواقعية أو المتخيلة بيننا وبين الآخرين، وأنه لا وجود لهوية من دون هذه المسافة؛ لأن هذه المسافة هي التي تؤمّن للبشر أن يشعروا بالأمان والاطمئنان في العيش مع مثيلهم، كما أنها هي المسؤولية عن الشعور بالنفور من الآخر إلى درجة أنه يمكن تصفيته دون أن يشعر أحدنا بأدنى تأنيب للضمير، وحتى دون أن يرفّ لأحدنا جفن. نيتشه، من جهته، كان على وعيٍ تام بفعالية هذه المسافة، وراحة الضمير التي تؤمنها لأصحابها، فـ«الإحساس الوراثي لدى الأعلى مقاماً بأن له حقوقاً أسمى يجعله لا مبالياً ومرتاح الضمير، بل إننا جميعاً، حين يكون الفرق شاسعاً بيننا وبين كائن آخر، نفقد أدنى إحساس بالظلم ونقتل ذبابة مثلاً دون أي تبكيت للضمير». فالمسألة إذن لا تتعلق بالنزعة القتالية والعدوانية التي تفقد الهوية، بفضلها، «أدنى إحساس بالظلم والقتل» الذي ترتكبه بحق أبناء الهويات الأخرى، بل إن المسألة تتعلّق بالمسافة التي تخلق «الفرق الشاسع» بيننا وبين الآخرين. وهذه المسافة هي التي تؤمن لنا راحة البال وغفوة الضمير حين نمارس الظلم أو القتل بحق الآخرين، فنقوم بذلك كما لو كنا نقتل ذبابة أو ندهس نملة! كان الهوتو، في الإبادة الجماعية البشعة في راوندا منتصف تسعينات القرن العشرين، يسمون التوتسي بـ«الصراصير»! إن عملية تشيء الإنسان أو «حيونته» خطوة أولى لارتكاب أبشع

الجرائم في حقه، إلا أنها خطوة ليست كافية، لأننا لا نرتكب مثل هذه الجرائم في حق الحشرات والصراصير، بمعنى أنك لن تجد أحداً من البشر الأسوياء يمثّل بحشرة أو يستمتع بتقطيع أوصال حمار. ما معنى هذا؟ معناه أن وحشية البشر تجاه البشر إنما تكتسب معناها من كونهم بشراً لا حيوانات، أي من كون الضحايا يمثلون الآخر البغيض الذي نكرهه، ونستهدف كسر شوكته، وإخضاع إرادته، والدوس على كرامته. أي إننا نستهدف الجانب الإنساني فيه تحديداً.

تقوم الهوية، أساساً، على هذه المسافة، الأمر الذي يعني أن النزعة القتالية والعدوانية مقوم أساسي من مقومات أية هوية، وأنه لا سبيل لانتزاع العدوانية من الهوية إلا عبر تذويب المسافة التي تجعل الفرق شاسعاً بيننا وبين الآخرين. وتذويب المسافة قد يقضي على «الوحش» الكامن في كل هوية، إلا أنه سيقوّض الهوية ذاتها، الهوية كآلية تصنيف وترسيم للحدود بيننا وبينهم.

في كل هوية وحش نائم ومتربّص، وهو على أهبة الاستعداد لتحويل الهوية المسالمة ظاهرياً إلى هوية قاتلة ومتوحشة. كان نيتشه يتحدث عن وسيلة يراها «وسيلة سلم حقيقي» بين البلدان والدول. وكان يرى أن السلام القائم الآن بين الدول سلام هشّ وغير حقيقي؛ لأنه في الحقيقة «سلام مسلّح»، بمعنى أن كل دولة تمتلك جيشاً تتعهده «لتلبية رغبة محتملة في القيام بغزو» بلد آخر. صحيح أن كل الدول تزعم أنها تتعهد جيشها وتعده لأغراض

الدفاع الشرعي عن النفس ضد أي عدوان خارجي يستهدفها. وهذه، بحسب نيتشه، «سمة من سمات اللاإنسانية، خطرة مثل الحرب، بل أخطر منها؛ لأنها تشكل في الواقع حثّاً على الحرب، سبباً للنزاع، مادامت تعزو (...) اللاأخلاقية إلى الجار وبذلك يبدو أنها تثير العداوة في مشاعره وأفعاله». والخلاصة أن وجود الجيوش يعني أن الحروب ممكنة وواردة في أي وقت.

إننا أمام الوضعية ذاتها التي تحدث عنها توماس هوبز حين اعتبر الحرب حصيلة أمرين: القتال الفعلي، وحالة الاستعداد المعلوم لهذا القتال. وبحسب هوبز فإن البشر من دون سلطة مشتركة (أي دولة)، يكونون في حالة حرب باستمرار. مع ضرورة الانتباه إلى أن هذه الحرب ليست فعل القتال ذاته وحسب، فهي لا تختصر في معركة المواجهة الدموية الفعلية بين الجميع ضد الجميع، بل هي تنسحب على حالة «الاستعداد المعلوم لهذا القتال». وزمن السلم، بحسب هوبز، هو الزمن الذي ينتفي فيه القتال الفعلي و«الاستعداد المعلوم» لهذا القتال. أما الحل الذي يقترحه نيتشه والوسيلة التي يراها أجدى لتحقيق «السلام الحقيقي» فتقع على الضد من اقتراح هوبز الذي يرى أن الحل يكمن في وجود دولة بسلطات مطلقة، دولة هي من «جيل اللفياثان الكبير أو بالأحرى (ومن باب الحديث بمزيد من الوقار) هذا الإله الفاني الذي ندين له بالسلام والدفاع». على الضد من هذا يذهب نيتشه إلى حل ينتهي بـ«تدمير السلاح»، و«تدمير القوات المسلحة تدميراً»،

وتخلي الدولة عن جيشها وأسلحتها «بدافع سمو الإحساس». إنه يكمن في تدمير الدولة الهوبزية تحديداً. والحال هو هو مع الهوية حيث لا سبيل لتخليص الهويات من توحشّها إلا بالقضاء على الوحش النائم فيها، إلا أن القضاء على هذا الوحش يعني القضاء على الهوية ذاتها!

توصّل عمانويل كانط، قبل نيتشه، إلى البديل الممكن أمام البشر لتحقيق السلام الدائم، إنه يكمن في مشروع للسلام الدائم بين الدول والشعوب، وهو أشبه بعقد اجتماعي بين الدول والشعوب (لا داخل الدولة الواحدة)، بحيث تتفق جميع الدول على وضع حدّ للمنازعات والحروب والعدوان. وبالنسبة إلى كانط فإن هذا المشروع كفيل بالقضاء على جميع أسباب الحروب في المستقبل. وتضمن مشروع كانط المقترح لتحقيق سلام دائم بين الدول، في مواده التمهيدية، على مادة (المادة الثالثة) تقول: «يجب أن تلغى الجيوش الدائمة إلغاء تاماً على مرّ الزمان»؛ والسبب أن هذه الجيوش تعني التأهب الدائم للقتال وتهديد الدول الأخرى بالحرب على نحو مستمر، كما أن وجود الجيوش يعني تشجيع حالة التنافس المحموم بين الدول من أجل التسلح والاستقواء.

برتراند رسل من جهته كان يحلم بوضع حدّ للحروب ولطاقة العدوان المتأصلة في البشر على طريقة فرويد. فبالنسبة لرسل فإن الحرب والمقاتلة غريزة متجذرة في الحياة البشرية، حيث «يميل الإنسان غريزياً إلى تقسيم البشرية إلى قسمين:

أصدقاء وأعداء»، فينخرط في علاقات انتمائية مع الأصدقاء، وفي حرب مستمرة مع الأعداء. إلا أن المحيّر في هذه الظاهرة أن البشر يحتاجون إلى العدو باستمرار من أجل تأمين وحدتهم الداخلية؛ لأن «العدو المشترك الخارجي يعمل باستمرار على وحدة من يناوئه». هذا يعني أن تحقيق وحدة الجماعة مرهون بوجود عدو مشترك. ويمكن أن تنتفي الحاجة إلى العدو، وذلك في حال أدرك البشر أن بينهم جميعاً قواسم مشتركة، وأنهم يلتقون في هويتهم الإنسانية المشتركة، إلا أن هذا الإدراك الذي سيتسبب في اختفاء العدو، سيتسبب، كذلك، في انتفاء الحاجة إلى الروابط التي تؤمن وحدة الهوية الإنسانية المشتركة، حيث سيؤدي اختفاء العدو (الآخر البغيض) من الوجود إلى انتفاء الحاجة إلى الصديق ووحدة الجماعة. يقول رسل: «إن هذه الظاهرة تجعل من الصعب على المرء أن يتخيل وسائل لجعل العالم وحدة متقاربة. فإذا أصبح العالم بأسره دولة واحدة، انتفى وجود العدو الخارجي الذي يؤدي الخوف من وجوده إلى زيادة روابط أفراد الدولة». وما كان يشغل رسل في هذا الاختفاء هو أن اختفاء العدو سيعني انتفاء الحاجة إلى الحرب، في حين أن الحرب «غريزة إنسانية موروثة»، ينبغي التفكير في منافذ أخرى لإشباعها في حال انتفت الحاجة إلى الحروب. ويعتقد رسل أن «بالإمكان التعويض عن غريزة المقاتلة بقراءة قصص المخاطرات وما شابهها». والحق أن «الدولة العالمية» لن تكون مضطرة للبحث عن منافذ ملائمة لإشباع هذه الغريزة؛ لا لأن

قراءة المخاطرات «قد لا تلائم الكثيرين» كما يقول رسل، بل لأن البشر لن يكفّوا عن الحرب والمقاتلة والمنافسة مع آخرين يخترعون عداوتهم اختراعاً. وحتى حين يدرك البشر إنسانيتهم المشتركة ويكوّنون «دولتهم العالمية»، فإنهم لن يضطروا للبحث عن أعدائهم من بين الحيوانات أو المخلوقات الفضائية التي ستأتينا من عوالم أخرى، بل سيعمدون إلى اختراع عدوهم من بني جلدتهم وضمن محيط «دولتهم العالمية»، ولن يكون عصياً عليهم أن يطردوا مجموعات كبيرة من بني البشر خارج إطار هذه الإنسانية المشتركة بحجة أنهم «برابرة» أو «همج رعاع» أو «بهائم هائمة» أو «أعراق منحطّة»! عرف تاريخ البشرية حضارات وأديان عالمية كثيرة سبق لها أن طوّرت أفكاراً جنينية أو ناضجة حول «الأخوة الإنسانية» وحقوق الإنسانية المشتركة، إلا أن هذا لم يكن كافياً لكبح غريزة البشر الشريرة في الحرب والعنف والعدوان ضد الآخرين، مرة بحجة أنهم ينتمون إلى حضارات بدائية «متخلفة»، وأخرى بحجة أنهم ينتمون إلى أديان باطلة ومهرطقة ومزيّفة.

قد تكون البدائل التي يقترحه كانط ونيتشه ورسل وحتى فرويد بدائل طوباوية، إلا أن من حقنا أن نؤمن أن الحروب ليست قدرنا، وأن الخروج من هذه الدوّامة الشريرة أمر ممكن، وأن العيش في عالم أفضل مازال خياراً متاحاً أمامنا بالرغم من صعوبته والمعوقات الكأداء التي تقف في طريقه. وتأتي هذه

المناظرة التي تفضلت منشورات تكوين بترجمتها وتقديمها إلى القارئ العربي كواحدة من هذه الخطوات الصغيرة التي تخطوها البشرية على هذا الطريق الطويل باتجاه عالم أفضل يليق بنا كبشر. إنها أشبه بـ«طاحونة تعمل ببطء شديد حتى أن الأشخاص من الممكن أن يتضوروا جوعًا قبل أن يحصلوا على دقيقهم» بتعبير فرويد.

لماذا الحرب؟

المناظرة بين فرويد وأنشتاين

الرسالة التي وجهها أنشتاين إلى فرويد، فيما يتعلق بالتنظيم المتوقع للقادة الفكريين، تم إرسالها في العام ١٩٣١، أو ربما في العام ١٩٣٢، ونصها كما يلي:

«أنا معجب بشدة بشغفك لتأكيد الحقيقة - شغف أصبح يسيطر على كل شيء آخر في تفكيرك. لقد أظهرت مع وضوح لا يقاوم كيف ترتبط الغرائز العدوانية والمدمرة في النفس البشرية مع غرائز الحب وشهوة الحياة. وفي الوقت نفسه، تبرهن حججك المقنعة عن إخلاصك العميق للهدف العظيم لتحرير الإنسان الداخلي والخارجي من شرور الحرب. وقد كان هذا هو الأمل العميق لجميع أولئك الذين تم تبجيلهم كقادة معنويين وروحيين خارج حدود زمنهم وبلدهم، من يسوع إلى غوته

وكانط. أليس من المهم أن يكون هؤلاء الرجال معترفاً بهم عالميا كقادة، على الرغم من أن رغبتهم في التأثير على مسار الشؤون الإنسانية كانت غير فعالة إلى حد كبير؟

أنا مقتنع بأن معظم الرجال العظماء الذين، بسبب إنجازاتهم، معترف بهم كقادة حتى بين مجموعات صغيرة يتشاركون معهم المثل ذاتها. لكن هؤلاء لديهم تأثير ضئيل على مسار الأحداث السياسية. ويبدو تقريباً أن مجال النشاط البشري الأكثر أهمية بالنسبة لمصير الأمم هو بلا شك في يد حكام سياسيين غير مسؤولين كلياً.

إن القادة السياسيين أو الحكومات مدينون بسلطتهم إما لاستخدام القوة أو لانتخابهم من قبل الجماهير، ولا يمكن اعتبارهم ممثلين للعناصر الأخلاقية أو الفكرية الفائقة في الأمة. وفي عصرنا، لا تمارس النخبة المثقفة أي تأثير مباشر على تاريخ العالم. إن حقيقة انقسامها إلى عدة زُمر تجعل من المستحيل على أعضائها التعاون في حل مشكلات اليوم. ألا تشاطر ذلك الإحساس بأن التغيير يمكن أن يحدث من خلال ارتباط حر للرجال الذين يقدم عملهم وإنجازاتهم السابقة ضماناً لقدرتهم ونزاهتهم؟ إن مثل هذه المجموعة على النطاق الدولي، والتي سيتعين على أعضائها البقاء على اتصال مع بعضها البعض من خلال تبادل الآراء المستمر، قد تكتسب تأثيراً أخلاقياً مهماً وجلياً في حل المشكلات السياسية إذا كانت مواقفها الخاصة

مدعومة بتوقيعات أعضائها المتفقين، والتي ستصبح عامة بعد نشرها من خلال الصحافة. يعاني مثل هذا الارتباط، بالطبع، من جميع العيوب التي أدت في كثير من الأحيان إلى الانحطاط في المجتمعات المتعلمة؛ إن خطر تطور مثل هذا الانحطاط هو، مع الأسف، حاضر على الإطلاق بسبب عيوب الطبيعة البشرية. ومع ذلك، وعلى الرغم من تلك المخاطر، ألا ينبغي لنا أن نبذل على الأقل محاولة لتشكيل مثل هذا الارتباط على الرغم من جميع المخاطر؟ يبدو لي أن هذا أقل من واجب حتمي!

وبمجرد ظهور مثل هذه الرابطة بين المثقفين -الرجال ذوي المكانة الحقيقية- يمكننا أن نبذل جهدا نشطا لإدراج الجماعات الدينية في النضال ضد الحرب. ستعطي الرابطة قوة أخلاقية للعمل للكثير من الشخصيات التي تعاني نواياها الحسنة اليوم من الشلل بسبب حالة الاستقالة المؤلمة. وأعتقد أيضا أن مثل هذه الرابطة من الرجال الذين يحظون باحترام كبير لإنجازاتهم الشخصية، ستقدم دعما معنويا هاما لتلك العناصر في عصبة الأمم الذين يدعمون بنشاط الهدف الكبير الذي أنشئت من أجله تلك المؤسسة.

أقدم لك هذه الاقتراحات، بدلاً من أي شخص آخر في العالم، لأن إحساسك بالواقع أقل غموضاً وتشوشاً بالتفكير العاطفي (التفكير بالتمني) كما هو الحال مع أشخاص آخرين، ولأنك تجمع بين ميزات الحكم النقدي والجدية والمسؤولية».

وجاءت المرحلة الحاسمة في العلاقة بين أنشتاين وفريد في صيف العام ١٩٣٢ عندما بدأ أنشتاين، تحت رعاية المعهد الدولي للتعاون الفكري، نقاشًا عامًا مع فرويد حول أسباب الحروب وعلاجها. خطاب أنشتاين الرسمي بتاريخ ٣٠ يوليو ١٩٣٢ كانت ترافقه الملاحظة الخاصة التالية: «أود أن أغتنم هذه الفرصة لأعرب لكم عن أطيب تحياتي الشخصية، وأشكركم على العديد من الساعات الممتعة التي أتيحت لي في قراءة أعمالكم. ومن دواعي سروري دائمًا أن ألاحظ أنه حتى أولئك الذين لا يؤمنون بنظرياتك يجدون صعوبة كبيرة في مقاومة أفكارك؛ لأنهم يستخدمون مصطلحاتك في أفكارهم وحديثهم عندما يكونون غير حذرين».

ألبرت أنشتاين

كابوت، بالقرب من بوتسدام، ٣٠ يوليو ١٩٣٢

السيد العزيز فرويد،

إن اقتراح عصبة الأمم ولجنتها الدولية للتعاون الفكري في باريس بأن أدعو شخصًا، أختاره بنفسي، من أجل تبادل صريح لوجهات النظر بشأن أي مشكلة أختارها، يتيح لي فرصة طيبة جدًا كي أتشاور معك بشأن مسألة تبدو، وفقًا للأوضاع الراهنة، الأكثر إلحاحًا من بين جميع المشكلات المحتم على الشعوب مواجهتها. المشكلة هي هل ثمة طريقة تنقذ البشرية

من خطر الحرب؟ من المعروف لدى الجميع أن هذا الأمر قد أضحى مسألة حياة أو موت للحضارة، مثلما نعرفها، مع تقدم العلوم الحديثة، إذ رغم كل المجهودات المبذولة، فقد انتهت جميع محاولات حلها بفشل ذريع.

علاوة على ذلك، فأنا مؤمن بأن أولئك الذين يتمثل واجبهم في معالجة المشكلة من منظور احترافي وعملي قد أصبحوا مدركين تمام الإدراك مدى عجزهم عن التعامل معها، ليس هذا وحسب، بل أصبحت عندهم الآن رغبة قوية جدًّا في التعرف على وجهات نظر أشخاص منغمسين في سعيهم وراء العلم وباستطاعتهم رؤية مشكلات العالم من المنظور الذي يضفيه عليها بُعدُهم. من جانبي، فإن القصد الطبيعي من وراء فكرتي لا يحمل نظرة متعمقة في الجوانب المظلمة للشعور والإرادة الإنسانية. ومن ثم، فيمكنني من خلال الطلب المُقترح الآن أن أقوم بما هو أكثر قليلًا من مجرد السعي وراء توضيح المسألة المطروحة وتمكينك من إلقاء ضوء معرفتك العميقة بفطرة الإنسان التي تؤثر في المشكلة، من أجل تمهيد طريق الحلول الأكثر بداهة. هناك عراقيل نفسية محددة يمكن للشخص العادي غير المتخصص في العلوم النفسية أن يخمن وجودها، على نحو طفيف، أما تلك التي يعجز عن فهم علاقاتها المترابطة وتقلباتها، فأنا مقتنع بأنك ستكون قادرًا على عرض أساليب تربوية، تقع خارج نطاق السياسة بدرجة أو بأخرى، من شأنها أن تقضي على هذه العراقيل.

وباعتباري محصنًا من الانحيازات القومية، فأنا شخصيًّا أرى وسيلة بسيطة للتعامل مع الجانب الظاهري (أي: الإداري) للمشكلة، وهي إنشاء هيئة قضائية وتشريعية لتسوية النزاعات الناشئة بين الدول، بموافقة دوليَّة، تلتزم كل الدول بالامتثال إلى الأوامر التي تصدرها وتلجأ إلى قراراتها في كل النزاعات وتقبل بأحكامها قبولًا لا جدال فيه وتنفذ كل الإجراءات التي تعتبرها المحكمة ضرورية لتطبيق قراراتها. لكنني، ومن البداية، قد واجهت صعوبة، وهي أن المحكمة باعتبارها مؤسسة بشرية قد تكون غير قادرة على فرض أحكامها، بالنظر إلى السلطة المتاحة لها، وهي بذلك أكثر عرضة لضغوطات خارج اختصاصها، وهذه حقيقة يجب أن نفكر فيها، لأن القانون والقوة حتمًا يسيران جنبًا إلى جنب، والأحكام القضائية هي الأقرب إلى العدالة المثالية التي يطالب بها المجتمع (الذي صدرت باسمه وباسم مصالحه هذه الأحكام)، حال كان المجتمع يمتلك سلطة فعلية تُلزم باحترام مثاليتها القضائية، إلَّا أننا في الوقت الراهن بعيدون عن حيازة منظمة تجتاز الحدود الوطنية وتختص في إصدار أحكام قابلة للنفاذ لا تقبل الجدال وتتمتع بالاستسلام المطلق لأحكامها. ومن هنا، أعرض أول المسلَّمات: السعي إلى الأمن الدولي يتضمن الاستسلام غير المشروط، من كل الدول، لحرية تصرفها، أو بعبارة أخرى: لسيادتها، ضمن إطار محدد. ومن الواضح، دون أدنى شك، أنه لا يوجد طريق آخر من الممكن أن يقود إلى مثل هذا الأمن.

إن عدم نجاح كافة الجهود التي بُذِلت خلال العقد الأخير من أجل تحقيق هذا الهدف، رغم الرغبة المخلصة في إنجاحها، لا يترك لنا مجالًا للشك في وجود عوامل نفسية مؤثرة تشل هذه الجهود. بعض هذه العوامل ليست بعيدة عمن يبحث عنها، فشهوة القوة المميزة للطبقة الحاكمة في كل البلدان عدو لأي تضييق على السيادة الوطنية، وذلك النهم السياسي للسلطة من المعتاد أن يحيا على أنشطة جماعة أخرى تبني طموحاتها على أسس اقتصادية جشعة بشكل بحت. ويرد إلى ذهني بشكل محدد تلك الجماعة، التي على صغر حجمها، تتمتع بإرادة قوية ونشاط في كل البلدان وتتألف من أفراد غير مبالين بالقيود والاعتبارات الاجتماعية، بل ويعتبرون حالة الحرب وصناعة الأسلحة وبيعها ببساطة «مناسبة» تتعزز فيها اهتماماتهم الفردية وتتسع خلالها سلطاتهم الشخصية.

إلّا أن الاعتراف بهذه الحقيقة الواضحة مجرد خطوة أولية لفهم الواقع الفعلي للأمور. السؤال التالي الذي يطرح نفسه بقوة: أنّى لهذه الزمرة الصغيرة أن تلوي إرادة الأغلبية، المعرضة للخسارة والمعاناة بسبب الحرب، من أجل أن تخدم طموحاتها؟ (بالحديث عن الأغلبية، لا أستثني الجنود، على اختلاف رتبهم، الذين اختاروا الحرب مهنة لهم، ظانين أنهم بذلك يدافعون عن المصالح العليا لعِرقِهم وأن الهجوم هو في الأغلب أفضل وسيلة للدفاع). وربما تبدو الإجابة البدهية على هذا السؤال هي أن المدارس والصحافة، والكنيسة أيضًا عادة، خاضعة لسيطرة

الأقلية، الطبقة الحاكمة حاليًا، وأن هذا يمكّنها من تنظيم مشاعر الجماهير وتحريكها وتحويلهم إلى أداةٍ لها.

بيد أن هذه الإجابة لا تقدم حلًا كاملًا، بل تطرح سؤالًا آخر: أنّى لهذه الوسائل أن تنجح هذا النجاح في إلهاب حماسة الجماهير بهذا العنفوان حتى يضحوا بحياتهم؟ هناك إجابة واحدة فقط معقولة، وهي أن الإنسان بداخله نزعة للكراهية والتدمير. في الأوضاع العادية، يكون هذا الميل مستترًا ولا يظهر سوى في الظروف غير المعتادة، إلّا أن استدعاءه وترقيته إلى سلطة الهوس الجمعي مهمةٌ سهلة نسبيًا. وربما يكمن، هنا، صُلب كل التشابك بين العوامل التي نضعها في الاعتبار، لغز يمكن للخبير في العلم المختص بالغرائز الإنسانية، وحده، أن يحله.

ها نحن قد وصلنا إلى سؤالنا الأخير: هل التحكم في التطور العقلي للإنسان أمر ممكن في سبيل الصمود أمام الاختلالات العقلية للكراهية والدمار؟ هأنذا، لا أفكر فيمن يُطلق عليهم الجماهير غير المثقفة، بأي حال من الأحوال، إذ إن التجربة قد أثبتت أن النخبة المثقفة هي الأكثر عرضة لأن تذعن لهذه المقترحات الجمعية التدميرية، ذلك أن المثقفين لا يتواصلون مباشرة مع الحياة الحقيقية، بل يتعرفون إليها في أسهل أشكالها الاصطناعية، على الصفحات المطبوعة.

اختصارًا: ما كنت أتحدث عنه في كل هذا هو الحروب بين الدول فقط، ما يعرف بالصراعات الدولية. بيد أنني أدرك جيدًا

أن غرائز الإنسان العدوانية تظهر في أشكال أخرى وفي ظروف أخرى. (على سبيل المثال، أفكر في الحروب الأهلية التي كانت تنشب فيما سبق بسبب الحمية الدينية، وتنشب الآن بسبب عوامل اجتماعية أو: مجددًا، اضطهاد الأقليات الدينية. إلَّا أن إصراري على شكل الصراع الأكثر نموذجية وقسوة وتطرفًا بين شخص وشخص كان مقصودًا، لأننا نحظى هنا بأفضل فرصة لاكتشاف طرق ووسائل نجعل بها كل النزاعات المسلحة مستحيلة.

أنا أعلم أن العثور على إجابات صريحة أو ضمنية على كافة الأمور المتعلقة بهذه المشكلة الملحة المستحوذة على الانتباه، في كتاباتك، أمر ممكن. بيد أن عرض مشكلة السلام العالمي في ضوء أحدث اكتشافاتك سيكون أحد أعظم الخدمات التي تقدمها إلينا جميعًا، لأن مثل هذا العرض من شأنه أن يمهد السبيل جيدًا لأنماط عمل مثمرة وجديدة.

المخلص لك جدًّا

أ. أنشتاين

كتب ليون شتينغ، وهو مسؤول في عصبة الأمم وقام بالكثير لإلهام هذه المراسلات، إلى أنشتاين في ١٢ سبتمبر ١٩٣٢: «عندما زرت البروفيسور فرويد في فيينا، طلب مني أن أشكرك

على كلماتك الرقيقة، وأن أخبرك أنه سيبذل قصارى جهده لاستكشاف المشكلة الشائكة المتمثلة في منع الحرب، وأنه سيكون لديه جوابه الجاهز بحلول أوائل أكتوبر». وهو يعتقد أن ما يقوله لن يكون مشجعاً للغاية. كان يقول: «طوال حياتي كان علي أن أخبر الناس بالحقائق التي كان من الصعب ابتلاعها. أما الآن وأنا كبير في السن، فبالتأكيد لا أريد أن أخدعهم». كان يشك في أن بونيت (هنري بونيت كان مدير معهد التعاون الفكري في باريس) سيرغب في نشر رده المتشائم.

رد أنشتاين على شتينغ بعد أربعة أيام قائلاً: إنه حتى لو لم يكن رد فرويد مبتهجاً أو متفائلاً، فإنه بالتأكيد سيكون مثيراً للاهتمام، وفعالاً من الناحية النفسية.

سيغموند فرويد

فيينا، سبتمبر ١٩٣٢

السيد العزيز أنشتاين،

عندما سمعت أنك تعتزم دعوتي إلى التشاور في موضوع يثير اهتمامك، ويبدو أنه يستحق اهتمام الآخرين، وافقت على الفور، إلَّا أنني توقعت أن تختار مشكلة تقع على حدود ما هو قابل للمعرفة في يومنا هذا، مشكلة أن يكون لكلينا، فيزيائي وعالم نفس، زاوية تناول محددة خاصة وأرضية مشتركة يمكن أن

نجتمع عليها من مختلف الاتجاهات، ومن ثم فقد فاجأتني بطرح سؤال عما يمكن القيام به من أجل حماية البشرية من لعنة الحرب، وقد كنت خائفًا في البداية من فكرة عدم أهليتي (كدت أكتب عدم أهليتنا) للتعامل مع ما بدا أنه مشكلة عملية، من شأن رجال الدولة، لكنني أدركت بعد ذلك أنك لم تطرح السؤال بصفتك عالم طبيعة وفيزيائيًا، وإنما بصفتك محبًا للخير يحذو حذو عصبة الأمم، مثلك في ذلك مثل المستكشف القطبي فريتيوف نانسين، الذي أخذ على عاتقه توصيل المعونات إلى ضحايا الحرب العالمية المشردين الجائعين. بل أكثر من ذلك، لقد رأيت أنه لم يُطلب مني تقديم اقتراحات عملية، وإنما فقط عرض مشكلة تجنب الحرب مثلما يراها مراقب نفسي. وهأنت من جديد قد قلت كل ما من شأنه أن يُقال في هذا الأمر تقريبًا، وعلى الرغم من أنك جعلتني عاجزًا، فسأكون مسرورًا أن أضع هذا وراء ظهري، وأُرضي نفسي بأن أؤكد على كل ما قلته بالإسهاب فيه، وفق معرفتي أو ظني.

لقد بدأت بالعلاقة بين الحق والقوة، لا يمكن أن يكون هناك شك بأن هذه هي نقطة البداية الصحيحة لبحثنا، لكن هل من الممكن أن أستبدل بكلمة «قوة» كلمة أكثر جراة وقسوة، وهي «عنف»؟ ومما يبدو لنا اليوم، فإن الحق والعنف نقيضان. ورغم ذلك، يمكن أن يتضح لنا بسهولة أن أحدهما ناجم عن الآخر إذا عدنا إلى البدايات ورأينا كيف نشأت أولاهما، وهكذا تُحل المشكلة بسهولة. ويجب أن تعذرني إذا تطرقت فيما يلي إلى

أمور مألوفة ومقبولة بشكل عام، كما لو أنها كانت جديدة، إلَّا أن حجتي تتطلب ذلك.

إنه لمبدأ عام أن تُسوَّى صراعات المصالح بين البشر عن طريق العنف، وهذا أمر ثابت في مملكة الحيوان، التي لا يمكن للبشر أن يستثنوا أنفسهم منها. ولا شك أن البشر يتصارعون على الآراء أيضًا، وهو ما يمكن أن يصل إلى أعلى درجات التجريد وأن يتطلب تقنية أخرى من نوع ما لتسويتها، إلَّا أن هذا تعقيد يأتي لاحقًا. في البداية، كانت القوة العضلية الفائقة هي التي تحدد من يمتلك الأشياء ومن تنتصر إرادته، وسط مجموعة صغيرة من البشر، وسرعان ما أصبح هناك مكمل للقوة العضلية واستُبدِل بها استخدام الأسلحة وصار الفائز من يمتلك الأسلحة الأفضل أو من يبرع في استخدامها بمهارة أكبر. ومن اللحظة التي استُحدِثت فيها الأسلحة، بدأ التفوق الفكري يحل محل القوة العضلية الفائقة، بينما بقي الغرض الأساسي من المعركة واحدًا: أن يجبر أحد طرفي الصراع الآخر بالتخلي عن مطلبه أو اعتراضه نتيجة تقويض قوته وإضراره، ومن شأن هذا الغرض أن يتحقق تمامًا، إذا قضى عنف المنتصر على العدو بشكل دائم، بتعبير آخر: قتله. وهو أمر له فائدتان: لن يصبح بمقدوره أن يعارض مرة أخرى وسيردع ذلك الآخرين عن أن يحذوا حذوه، فضلًا عن أن قتل العدو يُرضي نزعة غريزية سيتعين عليَّ ذكرها لاحقًا. من الممكن أن تلقى نية القتل معارضة بدعوى إمكانية توظيف

العدو في تأدية خدمات مفيدة إذا تُرِك حيًّا في حالة خوف، وفي هذه الحالة يتم إرضاء عنف المنتصر عن طريق إخضاع العدو عوضًا عن قتله، إلَّا أن هذه أول مرحلة من مراحل الإبقاء على حياة العدو، إذ إن المنتصر سيتعين عليه لاحقًا التفكير في رغبة العدو المهزوم، المتوارية، في الانتقام وفي تضحيته بجزء من أمانه الشخصي.

هذا هو أصل الأشياء إذًا: سيطرة الأقوى، سيطرة العنف الغاشم أو العنف المدعوم بالفكر. مثلما نعرف، فقد تغير هذا النظام بحكم تطور الأشياء، وأصبح هناك طريق يقود من العنف إلى الحق أو القانون، لكن ما هو هذا الطريق؟ أنا أؤمن بوجود طريق واحد، الطريق المبني على الحقيقة القائلة بإمكانية مواجهة القوة العليا للفرد الواحد باتحاد عدد من الضعفاء. الاتحاد قوة، يمكن للاتحاد أن يحطم العنف، لأن قوة أولئك الذين اتحدوا الآن مثلت القانون، بعكس عنف الفرد الواحد. وعليه، فنحن نرى أن الحق هو قوة المجتمع، رغم أنه يظل عنفًا على استعداد أن يُوَّجه ضد أي فرد يقاومه، مستخدمًا نفس الوسائل سعيًا وراء نفس الأغراض، إلَّا أن الاختلاف الحقيقي الوحيد هو أن المنتصر لم يعد عنف الفرد، بل المجتمع. بيد أنه من أجل أن يحدث هذا التحول من العنف إلى العدالة أو إلى الحق المستحدث، يجب أن يتحقق شرط نفسي واحد، وهو أن يكون اتحاد الأغلبية مستقرًّا ودائمًا، ذلك أنه إذا اتحدت الأغلبية من أجل مواجهة الفرد الواحد

المسيطر وحسب لينفصم اتحادهم بعد هزيمته، فلن يتحقق شيء وسيأتي شخص آخر يرى في نفسه قوة طاغية وسيسعى مرة أخرى إلى فرض سيطرته بالعنف، وهكذا ستظل اللعبة تتكرر إلى الأبد. يجب أن تتم المحافظة على المجتمع بشكل دائم، وأن يخضع للتنظيم، وأن توضع قواعد تنظيمية تتنبأ بخطر التمرد، وأن يتم إنشاء هيئات للتأكد من أن هذه القواعد، أي: القوانين، تخضع للاحترام، ولمراقبة تنفيذ أعمال العنف القانونية. إن إدراك مثل هذه المصالح المشتركة يؤدي إلى نمو الروابط العاطفية، بين أعضاء مجموعة متحدة من الأشخاص، التي هي المصدر الحقيقي لقوَّتها. أؤمن، هنا، بأن كل الضروريات أصبحت لدينا: عنف تمت السيطرة عليه بتحويل القوة إلى اتحاد أكبر متضافر فيما بينه بروابط عاطفية بين أفراده، وما تبقى من القول ليس أكثر من امتداد وتكرار لهذه الفكرة.

يكون الوضع بسيطًا فقط حينما يكون المجتمع مكونًا من أفراد متساوين في القوة، إذ تحدد القوانين التي يضعها اتحاد مثل هذا إلى أي مدًى يجب أن يتخلى الفرد عن حريته الشخصية في سبيل تحويل قوته إلى أغراض عنف، وذلك في حالة كان أمان الحياة الجمعية مضمونًا. بيد أن هذا النوع من السكون مقنع من الناحية النظرية فقط، إذ إن المجتمع معقد في حقيقته لأن المجتمع يتألف في الأساس من عناصر قوة غير متكافئة: الرجال والنساء، الآباء والأبناء، وينتهي الأمر بضم المتصرين والمنهزمين الذين

يتحولون بعد الحروب والمعارك إلى أسياد وعبيد، وتصبح عدالة المجتمع حينئذ تعبيرًا عن الدرجات غير المتساوية من حيازة القوة بداخله، إذ إن القوانين قد صنعت على أيدي الأفراد الحاكمين ومن أجلهم، وهي تولي اهتمامًا ضئيلًا إلى أولئك الخاضعين لهم. ومن هذا المنطلق، هناك عنصران فاعلان في المجتمع هما مصدر الاضطرابات حول المسائل القانونية، ومع ذلك فهي تسهم في الوقت نفسه في نمو أكبر للقانون. جاءت المحاولات أولًا من جانب الحكام، الذين أرادوا أن يجعلوا أنفسهم فوق المحظورات التي تنطبق على الجميع، سعيًا إلى العودة لسيطرة العنف بدلًا من سيطرة القانون، وثانيًا من جانب الأفراد المقموعين من الجماعة، الذين يبذلون جهودًا مستمرة من أجل الحصول على المزيد من القوة وجعل القانون يعترف بالتغيرات التي تحدث في ذلك الاتجاه، سعيًا إلى العدالة المتكافئة للجميع بدلًا من العدالة غير المتكافئة. يصبح ذلك الدافع الثاني مهمًّا بشكل استثنائي إذا حدث تحول حقيقي للقوة داخل المجتمع، مثلما من الممكن أن يحدث نتيجة لمجموعة من العوامل التاريخية، وفي هذا الحالة من الممكن للحق أن يكيّف نفسه تدريجيًّا على التوزيع الجديد للقوة أو أن يحدث ما يحدث غالبًا: لا تشعر الطبقة الحاكمة بأنها مستعدة للاعتراف بالتغيير، فيحدث تمرد وتقع حرب أهلية، ثم يتم وقف العمل بالقانون مؤقتًا وتحدث محاولات جديدة للوصول إلى حل عن طريق العنف، لينتهي الأمر بعمل قانون جديد. لا يزال هناك مصدر آخر، من مصادر التعبير السلمي

الدائم، من الممكن أن تنتج عنه تعديلات في القانون، هو التحول الثقافي لأفراد المجتمع، إلَّا أن المكان الصحيح لهذا الحديث له سياق آخر ويجب أن يُنظر فيه لاحقًا.

ومن ثم، نرى أن تجنب الفصل في صراعات المصالح عن طريق العنف غير ممكن، حتى داخل المجتمعات، إلَّا أن الضرورات اليومية والمخاوف المشتركة، التي يتحتم وجودها في مكان يتعايش فيه الناس معًا، من الممكن أن تُعجِّل بإنهاء هذه الصراعات، بل وتكون هناك احتمالية متزايدة لإيجاد حل سلمي في ظل هذه الظروف. بيد أنه بالنظر إلى تاريخ الجنس البشري، نكتشف سلسلة لا نهائية من الصراعات، بين مجتمع وآخر أو مجتمع وعدد من المجتمعات الأخرى، بين وحدات أصغر وأكبر، بين مدن، بين مقاطعات، بين أعراق، بين دول، بين إمبراطوريات. الصراعات التي تم الفصل فيها كلها تقريبًا بقوة السلاح، وتنتهي مثل هذه الحروب إما بسلب أحد الطرفين أو الإطاحه به وغزوه. من المستحيل إصدار أي أحكام مطلقة على حروب الغزو، إذ إن بعضها لم يأتِ سوى بالشر، على مثل هؤلاء الذين تعرضوا لغزو المغول والأتراك، بينما ساهم آخرون في تحويل العنف إلى قانون، عن طريق إنشاء وحدات أكبر يستحيل استخدام العنف داخلها، بل على العكس أدى إدخال قانون جديد إليها إلى حل الصراعات. من هذا المنطلق، منحت غزوات الرومان الدول المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط السلام الروماني الذي لا يقدر

بثمن، وخلق جشع ملوك فرنسا لمد نفوذهم بلدًا مزدهرًا ومتحدًا بطريقة سلمية. ورغم المفارقة التي من الممكن أن يبدو عليها الأمر، فيجب الاعتراف بأن الحرب من الممكن أن تكون بعيدة عن الوسائل غير الملائمة لتحقيق السلام «الأبدي» المرغوب فيه بشدة، لأن باستطاعتها خلق اتحادات كبيرة، يكون بفضلها وقوع المزيد من الحروب أمرًا مستحيلًا على الحكومات المركزية القوية. ومع ذلك، فإنها تفشل في تحقيق هذا الغرض، لأن نتائج الغزو قصيرة الأجل بصفة أساسية، ومن ثم تنهار الوحدات حديثة النشأة مجددًا، عادةً بسبب الافتقار إلى التماسك بين الأجزاء التي كان العنف سببًا في اتحادها. أضف إلى ذلك أن عمليات التوحيد التي صنعها الغزو حتى الآن، على اتساع قدرها، كانت جزئية فقط بل ودعت الصراعات بينهم إلى حل عنيف أكثر من أي وقت مضى. وهكذا كانت نتيجة كل هذه الجهود الشبيهة بالحرب أن الجنس البشري قايض الحروب الصغيرة العديدة التي لا نهاية لها بحروب نادرة ذات نطاق أوسع وقدرة تدميرية أكبر على نحو استثنائي.

إذا التفتنا إلى عصرنا الحالي، سنصل إلى نفس الخلاصة التي تمكنت أنت من الوصول إليها بسلوكك طريقًا مختصرًا، لن يتأكد منع الحروب إلَّا إذا اتفقت البشرية على تشكيل هيئة مركزية يكون لها حق الفصل في كافة صراعات المصالح، وهناك مطلبان واضحان منفصلان ضروريان لتحقيق هذا الأمر، وهما

إنشاء هيئة عليا، ومنحها السلطة اللازمة. لن تكون هناك فائدة لأحدهما بدون الآخر؛ عصبة الأمم هيئة مماثلة، إلَّا أن الشرط الثاني لم يتحقق فيها، فعصبة الأمم لا تمتلك سلطتها الخاصة، ولن يتسنى لها الحصول عليها إلَّا إذا كان أعضاء الاتحاد الجديد، أي: الدول المنفصلة، مستعدين للتخلي عنها، ومما يبدو فإن احتمالية تحقيق ذلك ضئيلة جدًّا في الوقت الحالي. ومع ذلك، سيكون موقف اللجنة التابعة لعصبة الأمم غير مفهوم تمامًا إذا تجاهل المرء حقيقة وجود محاولة مثل هذه؛ جريئة وغير مسبوقة (ليس على هذا المستوى فعلًا). إنها محاولة من شأنها أن تدعو إلى سلوكيات عقلية مثالية محددة؛ تعتمد بدونها السلطة (التي هي الحاكم القسري) على حيازة القوة. لقد رأينا أن المجتمع يتماسك من خلال عنصرين: القوة الغاشمة للعنف، والروابط العاطفية بين أفراده (الهويات هي الاسم الحركي)، وإذا غاب أحد هذين العنصرين، ربما أمكن للعنصر الآخر أن يُبقي المجتمع مترابطًا. وبالطبع يمكن للأفكار المُطالب بتحقيقها أن تكون ذات أهمية فقط في حال مُنِح حق التعبير بشأن الأمور المهمة التي ينسجم الأفراد حولها، ومن ثم إثارة سؤال متعلق بكم القوة التي يمكن لهذه الأفكار أن تمارسها، إذ إن التاريخ قد أثبت فعاليتها إلى حد ما، والفكرة الهلينية مثال على ذلك؛ فكرة أن تشعر بأنك أفضل من البربر المحيطين بك، وهي فكرة قد تم التعبير عنها بقوة في اتحاد الجيران ووسطاء الوحي وظهر أثرها في الألعاب. ورغم أنها كانت قوية بما يكفي لأن تُحد من عادات الحرب

عند الإغريق، فإن قوتها لم تكن كافية لمنع خلافات شبه حربية بين جماعات مختلفة من الإغريق، أو حتى لردع مدينة أو اتحاد مدن عن التحالف مع العدو الفارسي بهدف اكتساب ميزة فوق المنافس. كذلك، رغم القوة التي أُثيرت بها مشاعر المسيحيين في عصر النهضة، فإن ذلك لم ينجح بدرجة متكافئة في منع الدول المسيحية، سواء كانت كبيرة أو صغيرة، من أن تطلب مساعدة السلطان في حروبها بعضها ضد بعض، ولا يمكن أن يكون متوقعًا في يومنا هذا أن تقوم أي فكرة بفرض سلطة موحدة من هذا النوع، إذ من الواضح جدًّا أن المثل الوطنية التي تتم استمالة الشعوب بها في الوقت الراهن تعمل في اتجاه معاكس، حتى أن بعض الأشخاص يميلون إلى الاعتقاد بأن وضع نهاية للحرب لن يكون ممكنًا إلَّا إذا حظيت طرق التفكير الشيوعي بقبول دولي، وهذا أمل بعيد جدًّا في يومنا هذا على أية حال؛ ربما لن يكون تحقيقه ممكنًا إلَّا بعد اندلاع حروب أهلية هي الأشد رعبًا، وكذلك فإن محاولة استبدال قوة الأفكار بالقوة الفعلية في الوقت الراهن أمر محكوم عليه بالفشل، لأننا سنكون مخطئين إذا تجاهلنا الحقيقة المُقِّرة بأن القانون أصله عنف غاشم وأنه حتى يومنا هذا لا يمكن أن ينجح بدون دعم العنف.

بوسعي الآن أن أشرع في التعليق على ملاحظة أخرى قد طرحتها، وهي دهشتك من الحقيقة المُقِّرة بأن إشعال حماسة الرجال لخوض الحرب أمر سهل جدًّا، بل وتعزز دهشتك بشك

في وجود شيء بداخلهم -غريزة للكراهية والتدمير- يسهل مهمة دعاة الحرب إلى هذا النوع من التحفيز. مرة أخرى، لا يسعني سوى التعبير عن موافقتي التامة؛ فنحن نؤمن بغريزة من ذلك النوع، وحقيقة الأمر أننا قد شُغلنا خلال السنوات القليلة الماضية بدراسة مظاهرها، فهل تسمح لي بأن أنتهز الفرصة وأضع بين يديك جزءًا من نظرية الغرائز التي توصل إليها العاملون في مجال التحليل النفسي، بعد الكثير من الأبحاث المبدئية والآراء المتذبذبة؟

استنادًا إلى النظرية التي توصلنا إليها، فإن الغرائز الإنسانية اثنتان؛ أما الأولى فهي غريزة البقاء والاتحاد، التي نطلق عليها شهوة بما تحمله من معنًى مطابق لما عبَّر عنه أفلاطون باستخدامه كلمة شبق، أو جنس مع بسط متعمد للمفهوم الشائع عن الجنس؛ وأما الثانية فهي غريزة التدمير والقتل، اللذين نجمعهما معًا باعتبارهما الغريزة التدميرية أو العدوانية. ومثلما ترى، فإن هذا في الحقيقة لا يعدو أن يكون توضيحًا نظريًّا للتعارض المعروف عالميًّا بين الحب والكره، الذي ربما يشكل علاقة جوهرية مبنية على نظرية الانجذاب والنفور بين الأقطاب، التي تلعب دورًا في مجال معرفتك. لكن يجب ألَّا نتسرع كثيرًا في إصدار الأحكام الأخلاقية على الخير والشر، إذ إن إحدى هاتين الغريزتين لا تقل ضرورة عن الأخرى لأن الحياة تنشأ عن أفعال متعارضة بشكل متبادل ومتزامن للاثنتين، بل يبدو الأمر كما لو أن إحدى هاتين

الغريزتين تستطيع بالكاد أن تعمل بمعزل عن الأخرى وأنها تكون مصحوبة دائمًا، أو مثلما نقول مخلوطة، بكمية محددة من الغريزة الأخرى، التي تعدل هدفها أو تكون في حالات أخرى ذلك الشيء الذي يمكنها من تحقيق ذلك الهدف. وهكذا، فمن المؤكد مثلًا أن غريزة البقاء من النوع الشهواني، ولكنها تحتاج إلى العدوانية من أجل تحقيق غرضها، وكذلك غريزة الحب التي تكون بحاجة إلى قدر من السيطرة، عندما تُوَجه ناحية شيء ما، إن كان لها أن تحوز ذلك الشيء بأي شكل. إن صعوبة عزل الغريزتين في مظهريهما الفعلي هو فعلًا ما منعنا طويلًا من الاعتراف بهما.

ستعرف من حديثي بعد قليل أن التصرفات الإنسانية خاضعة لتعقيد آخر من نوع مختلف، إذ من النادر جدًّا أن يكون هناك فعل مدفوعٌ بغريزة واحدة (التي هي نفسها مكونة أصلًا من الشبق والدمار). إن أي تصرف يكون ممكن الحدوث شريطة وجود توليفة من مثل هذه الدوافع المركبة، وقد أدرك البروفيسور ج. س. ليشتنبرج هذا الأمر منذ وقت طويل وهو متخصص في مجالك، إذ درَّس الفيزياء في جوتينجن في العصر الكلاسيكي، رغم أنه ربما كان معروفًا أكثر باعتباره عالم نفس أكثر منه عالم فيزياء، وقد اخترع هذه البروفيسور بوصلة للدوافع، إذ كتب: إن الدوافع التي تقودنا إلى القيام بأي شيء يمكن أن يتم ترتيبها مثل «رياح الاثنين والثلاثين» وأن تُطلق عليها أسماء على نحو مشابه مثل: «طعام–طعام–شهرة» أو «شهرة–شهرة–طعام».

وبناء على هذا، فعندما يُحرض البشر على الحرب، فمن الممكن أن تكون لديهم قائمة كاملة من دوافع التأييد؛ بعضها نبيل وبعضها دنيء؛ بعضها مُعلن بوضوح وبعضها لا يُذكر أبدًا. لا حاجة إلى ذكر جميع الدوافع، إلَّا أن التوق إلى العنف والتدمير حتمًا من بينها، فالوحشية التي لا حصر لها في التاريخ وفي حياتنا اليومية تشهد على وجودها وقوتها. تكون الاستجابة لهذه الدوافع التدميرية أسهل بالطبع إذا امتزجت بدوافع أخرى من نوع مثالي وشهواني، وعندما نقرأ عن فظائع التاريخ يبدو الأمر في بعض الأحيان كما لو أن الدوافع المثالية كانت مجرد عذر للشهوات التدميرية، وفي بعض الأحيان يبدو أن الدوافع المثالية تدفع بنفسها إلى الوعي بينما تعزز الدوافع التدميرية اللاوعي، مثلما هو الحال في محاكم التفتيش على سبيل المثال. بل من الممكن أن يكون الدافعان حقيقيين.

أخشى أنني أسيء إلى اهتمامك، ذلك أنك في نهاية الأمر مهتم بمنع الحرب وليس بالنظريات. ومع ذلك، فأنا أود أن أسهب قليلًا في الحديث عن غريزتنا التدميرية التي لا تتكافأ شعبيتها مع أهميتها بأي شكل من الأشكال. وهكذا؛ نتيجة لهذا التضارب الصغير، توصلنا إلى افتراض بأن هذه الغريزة موجودة داخل كل كائن حي وتعمل من أجل إحداث الخراب، ومن أجل إعادة الحياة إلى حالتها الأصلية من الأشياء الجامدة. وهكذا فهي بحق تستحق لقب غريزة الموت، بينما تمثل الغرائز الشهوانية جهد العيش. تتحول غريزة الموت إلى غريزة تدميرية

عندما يتم توجيهها نحو أشياء خارجية بمساعدة أعضاء خاصة. بكلمات أخرى: يحافظ الكائن الحي على حياته عن طريق تدمير حياة أخرى دخيلة. ورغم ذلك، يبقى جزء من غريزة الموت حيويًّا داخل الكائن الحي، وقد سعينا وراء عدد كبير من الظواهر المرضية والطبيعية لهذا النوع من الاستيعاب الداخلي لغريزة التدمير. لقد أذنبنا حتى في الهرطقة التي نسبت أصل الوعي إلى هذا التحول الداخلي للعدوانية. وستلاحظ بأي حال من الأحوال أن المغالاة في هذه العملية ليست أمرًا تافهًا، وهي بالتأكيد أمر غير صحي. على الجانب الآخر، إذا تحولت هذه القوى إلى تدمير في العالم الخارجي، سيكون الكائن الحي مرتاحًا ويتحتم أن يكون التأثير مفيدًا. سيتم اعتبار هذا مبررًا بيولوجيًّا لكافة الدوافع الخطيرة والبشعة التي نتصدى لها، ويجب الاعتراف بأنهم أقرب إلى الطبيعة من مقاومتنا لهم؛ وهو ما يحتاج أيضًا إلى تفسير. ربما تبدو لك نظرياتنا ضربًا من الأساطير وغير مقبولة في الوضع الراهن، لكن ألا يصل كل علم في النهاية إلى نوع من الأساطير المشابهة؟ ألا يمكن أن يُقال اليوم نفس الشيء عن الفيزياء التي تختص فيها؟

وبصدد هدفنا الحالي، نستتبع ما قيل بأنه لا فائدة من محاولة التخلص من نزعات الإنسان العدوانية. لقد قيل لنا إنه في بقاع سعيدة من الأرض تمنح الطبيعةُ الإنسانَ كل ما يحتاج إليه بوفرة، وأن هناك أجناسًا تعيش حياتها في هدوء دون أن يعرفوا الإكراه

أو العدوانية. لا أستطيع أن أصدق هذا الأمر، وينبغي أن أكون مسرورًا لأن أسمع المزيد عن هؤلاء الأشخاص المحظوظين. إن الشيوعيين الروسيين يأملون أيضًا في أن يتمكنوا من القضاء على العدوانية الإنسانية، عن طريق ضمان تلبية جميع الاحتياجات المادية وتحقيق المساواة في نواحٍ أخرى بين جميع أفراد المجتمع، وهذا وهم في رأيي، لأنهم أنفسهم مسلحون اليوم بعناية شديدة، كذلك فإن كره جميع من هم خارج حدودهم ليس أقل الوسائل أهمية التي يحافظون بها على داعميهم معًا. على أية حال، ومثلما أشرت أنت بنفسك، فمن غير الوارد أن تقضي تمامًا على الدوافع العدوانية للإنسان، ويكفي أن تحاول الإبقاء عليها في المستوى الذي لا يحتاجون فيه إلى ترجمتها إلى حرب.

تُسهِّل نظريتنا الأسطورية عن الغرائز التوصل إلى معادلة بشأن طرق غير مباشرة لمواجهة الحرب، وإذا كان وجود استعداد لخوض حرب ينبع من الغريزة التدميرية، فإن الخطة الأكثر وضوحًا ستكون استحضار عدوه «الشبق» ليلعب ضده، إذ يجب أن يستخدم أي شيء يُشجع على نمو الروابط العاطفية بين الناس، ضد الحرب. وهذه الروابط من الممكن أن تنقسم إلى نوعين: إما روابط مشابهة لتلك الموجهة ناحية شيء محبوب وإن لم يكن هناك غرض جنسي، ولا داعي أن يخجل التحليل النفسي من التحدث عن الحب في هذا الصدد لأن الدين نفسه استخدم نفس الكلمات: «تحب قريبك كنفسك»، رغم أن قول

هذا أسهل من تنفيذه؛ أما النوع الثاني من الروابط العاطفية فينبع من الهوية، التي هي مجموعة المشاعر التي تنتج عن أيٍّ ما كان الذي يدفع الناس لتشارك الاهتمامات المهمة، والتي أيضًا يعتمد عليها هيكل المجتمع الإنساني بدرجة كبيرة.

تقودني شكواك من إساءة استخدام السلطة إلى اقتراح يتعلق بمواجهة نزعة الحرب بطريقة غير مباشرة. أحد الأمثلة المتعلقة بعدم المساواة الغريزية، بين الناس، والتي لا يمكن القضاء عليها، هو ميلهم إلى الانقسام إلى فئتين من القادة والتابعين. وتشكل الفئة الثانية الغالبية العظمى، التي تحتاج إلى سلطة تتخذ القرارات من أجلها، والتي تنصاع لها انصياعًا غير مشروط بدرجة كبيرة. وهذه مسألة تُنبه إلى ضرورة إيلاء عناية أكبر بتعليم طبقة عليا من الناس تكون لها عقول مستقلة متلهفة إلى البحث عن الحقيقة وغير منفتحة على الترهيب تكون وظيفتها توجيه حشود «التابعين». لا يمكن أن نتغافل عن الإشارة إلى أن تعديات القوة التنفيذية للدول وتحريمات الكنيسة بخصوص حرية التفكير بعيدان كل البعد عن تنشئة فئة من هذا النوع. إن وجود مجتمع من الناس الذين يُخضِعون غرائزهم إلى ديكتاتورية المنطق هو الوضع المثالي. لا يمكن لشيء آخر أن يوّحد الناس بهذا التكامل والترابط، حتى وإن لم تكن بينهم روابط عاطفية، إلَّا أن هذا تطلع يوتوبي على الأرجح، ولا شك أن الطرق الأخرى غير المباشرة لمنع الحرب أكثر عملية، رغم أنها لا تضمن نجاحًا

سريعًا. ترد إلى ذهن المرء صورة لا تبعث على السرور لطاحونة تعمل ببطء شديد حتى أن الأشخاص من الممكن أن يتضوروا جوعًا قبل أن يحصلوا على دقيقهم.

لا تكون النتيجة مثمرة، مثلما ترى، عندما يُطلب من مُنظِّر، لا يهتم بالأمور المادية، تقديم نصيحة بخصوص مسألة عملية مُلحة. الخطة الأفضل أن يُكرس المرء نفسه لمواجهة الخطر بأي وسيلة تُتاح له في كل حالة على حدة. ورغم ذلك، أود أن أناقش مسألة أخرى لم تطرحها في خطابك وتهمني على نحو خاص؛ لماذا نثور أنا وأنت وغيرنا العديدون بعنف شديد ضد الحرب؟ لماذا لا نعتبرها واحدة من الكوارث المتعددة في الحياة المؤلمة؟ في نهاية المطاف، من الطبيعي جدًّا أن تكون لديك أسس بيولوجية جيدة يمكن تجنبها بالكاد في الممارسة العملية. لا داعي للدهشة من طرحي هذا السؤال، إذ من الممكن للمرء أن يرتدي قناعًا من الانسلاخ المفترض في مناقشة مثل هذه التي نحن بصددها. الإجابة على سؤالي هي أننا نستجيب للحرب بهذه الطريقة لأن الجميع له حق في حياته، لأن الحرب تضع نهاية للحياة الإنسانية المفعمة بالأمل، لأنها تضع الأفراد في مواقف مهينة، لأنها ترغمهم ضد إرادتهم على قتل أشخاص آخرين، ولأنها تدمر أشياء مادية ثمينة أنتجتها البشرية. هناك أسباب أخرى يمكن توضيحها، مثل أن الحرب في شكلها الحالي لم تعد فرصة لتحقيق المثاليات القديمة المتعلقة بالبسالة، وأن الحروب المستقبلية من

الممكن أن تتسبب في إبادة أحد الخصمين، إن لم يكن كليهما؛ وذلك بسبب التقدم الكبير في أسلحة الحرب الحديثة. كل هذا حقيقي، وما هو حقيقي أيضًا أنه لا يسع المرء سوى أن يدهش من أن شن الحرب لم يُرفض حتى الآن بالإجماع. لا شك أن الخلاف جائز بشأن نقطة أو اثنتين من هذه النقاط. كذلك فمن الممكن أن تكون هناك شكوك بشأن أحقية المجتمع في التخلص من الأرواح الفردية، إذ ليست كل الحروب عُرضة للإدانة بدرجة متكافئة، فطالما كانت هناك دول وأمم مستعدة أن تدمر الآخرين تدميرًا وحشيًّا، فعلى هؤلاء الآخرين أن يتسلحوا للحرب. لكنني لن أسهب في هذه الأمور لأنها ليست الأمور التي تود مناقشتها معي ولأن هناك أمرًا آخر يدور في رأسي. السبب الرئيسي الذي يجعلنا نثور ضد الحرب في رأيي هو أننا لا نستطيع منع أنفسنا من القيام بذلك. نحن مسالمون لأن أسبابًا عضوية تجبرنا على ذلك، ومن ثم لا نجد صعوبة في الإتيان بالحجج التي تبرر سلوكنا.

لا شك أن هذا يتطلب بعض الشرح، على ما أعتقد، فقد مر الجنس البشري عبر عصور لا يمكن حصرها بعملية من التطور الثقافي (أعرف أن بعض الناس تفضل استخدام تعبير «تمدن»). مثلما ندين لهذه العملية بأفضل الأشياء التي وصلنا إليها، فقد ساهمت أيضًا بجزء لا بأس به مما نعانيه. ورغم أن أسبابها وبداياتها غامضة ونتيجتها غير مؤكدة، فبعض سماتها

سهلة الإدراك، إذ ربما تؤدي إلى انقراض الجنس البشري لأنها تضعف العملية الجنسية بأكثر من طريقة، كذلك فإن الأجناس غير المتمدنة والطبقات المتخلفة من البشر تتكاثر فعلًا بسرعة أكبر بكثير من المتمدنين. ربما تكون العملية مماثلة لترويض فصائل محددة من الحيوانات، وهو أمر مصحوب دون شك بتغير مادي، إلَّا أننا لا نزال غير متآلفين مع الفكرة القائلة بأن تطور الحضارة عملية عضوية من هذا النوع. إن التغيرات النفسية التي تتوافق مع عملية التمدن مدهشة ولا غموض فيها، إذ تتألف من تبدل تدريجي للأهداف الغريزية وتقييد للدوافع الغريزية، فنصبح غير مبالين بالأحاسيس التي كان يتمتع بها أجدادنا، بل تصبح غير محتملة، ذلك أن هناك أسسًا عضوية للتغيرات التي تطرأ على مثالياتنا الجمالية والأخلاقية. هناك ملمحان هما الأكثر أهمية من بين ملامح نفسية أخرى متعلقة بالتمدن؛ أولهما تعزيز الأذكياء الذي يبدأ في توجيه الفطرة واستيعاب الدوافع العدوانية داخليًّا، بكل ما يتبعها من مزايا ومخاطر. إن الحرب الآن في معارضة شديدة للسلوك النفسي المفروض علينا بسبب عملية التمدن، ولهذا السبب نحن ملزمون بالثورة ضدها، لأنه ببساطة لم يعد بوسعنا تحملها بعد الآن. إن هذا ليس مجرد نبذ عاطفي وفكري، فنحن المسالمين لدينا عدم تسامح مشروع مع الحرب، بل إحساس متعاظم إلى أعلى درجة إن جاز التعبير. يبدو الأمر كما لو أن انخفاض المعايير الجمالية في الحرب تلعب دورًا أصغر مما تلعبه وحشيتها، في ثورتنا.

وكم من الوقت يجب أن ننتظر قبل أن تصبح باقي البشرية مسالمة هي الأخرى؟ لا أحد يعرف، ومع ذلك فربما لا يكون أمرًا يوتوبيًّا أن نأمل في أن هذين العاملين: التوجه الثقافي والخوف المبرر من تبعات حرب مستقبلية من الممكن أن يضع نهاية لشن الحروب في وقت يمكن قياسه، رغم أنه لا يمكننا التخمين عن أي طريق أو أي مسار سيحدث هذا. هناك شيء واحد فقط يمكننا التأكيد عليه: أيًّا ما كان ذلك الذي يعزز التمدن، فإنه يتصدى في الوقت نفسه للحرب. أثق بأنك ستسامحني إذا كان ما قلته قد أحبطك، ولك مني أطيب التمنيات!

المخلص لك،

سيغموند فرويد

لم يكن أنشتاين، على ما يبدو، محبطاً عندما تلقى رد فرويد. فقد بعث بهذه الرسالة إلى فرويد في ٣ ديسمبر ١٩٣٢:

«لقد قدمت هدية أكثر إرضاءً إلى عصبة الأمم وإليّ، بردك الكلاسيكي بحق. عندما كتبت إليك، كنت مقتنعًا تمامًا بتفاهة دوري الذي كان يهدف فقط إلى توثيق نيتي الحسنة، كان، بالنسبة لي، أشبه بطعم يغري الأسماك الرائعة بالقضم. لقد قدمت في المقابل شيئًا رائعًا تمامًا. لا يمكننا أن نعرف ما قد ينمو من هذه

البذور، لأن التأثير على الإنسان من أي عمل أو حدث هو دائما أمر لا يمكن حسابه. فهذا ليس في نطاق سلطتنا ولا داعي للقلق بشأنه.

لقد كسبت امتناني وامتنان جميع الرجال؛ لأنك كرست كل قوتك للبحث عن الحقيقة، ولأنك أظهرت الشجاعة الأكثر ندرة في الاعتراف بقناعاتك طوال حياتك».

هذه هي الترجمة العربية الأولى لنص بالغ الأهمية من حيث موضوعه، وتوقيته، ومؤلفوه. فقد جمعت هذه المناظرة المشهورة والمنشورة تحت عنوان "لماذا الحرب؟"، بين اثنين من أعظم مفكري القرن العشرين، بين ألبرت أنشتاين وسيغموند فرويد. وقد نشرت هذه الرسائل المتبادلة بين الإثنين في العام ١٩٣٣ من قبل المعهد الدولي للتعاون الفكري. كما كانت هذه المناظرة جزء من سلسلة دولية من الرسائل المفتوحة برعاية المعهد، وتبادل خلالها كبار المفكرين الأفكار حول المسائل الرئيسية والحيوية، وأهمها كان التهديد بالحرب. سيطّلع القارئ العربي، ولأول مرة، على وجهات نظر أنشتاين وفرويد في قضايا عديدة مثل الدولة، والسلطة، والطبيعة البشرية، والنوازع العدوانية، والمسؤولية الأخلاقية لقادة الفكر في العالم، وأخيرًا وهو الأهم، الجذور العميقة للحروب.

د. نادر كاظم









www.takweeen.com | Publishing@takweeen.com